المقاصدُ والمعاني

في
حكْمِ التِزامِ الرَّسْمِ العُثْماني

محمد السيد حسن محمد

أكاديمية تفسير للدراسات القرآنية
ربيع الأول ١٤٤٠هـ
نوفمبر ٢٠١٨م

دار مشكاة

للطبع والنشر والتوزيع

عنـــوان الكتـــاب: المقاصد والمعاني في حكْمِ التِزامِ الرَّسْمِ العُثْماني

المؤلـــــــــف: الشيخ محمد السيد حسن محمد

التصـــــــــنيف: دراسة لغوية

تنســـــــــيق: منى الغريب

مراجعـــــــــة: بمعرفة المؤلف

تصـــميم غـــلاف:

رقـــم الإيـــداع:

تـــرقيم دولـــي:

٣٤ شارع يحيي إبراهيم – محمد مظهر – الزمالك - القاهرة

ت/ ٠١١١٤٣٩٨٩٩٤ - ٠١٠١٤٤٤٤٦٤٨ - ٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

المحتوى الأدبي مسؤولية الكاتب بالكامل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي لا إله إلا هو، وسع كل شيء علماً، وأودع كتابه الكريم علماً، ينهل كل منه علماً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده، الكريم المتعال، والمحمود أبدا في الحال، وفي المآل، وأشهد أن محمدا عبده ورسول ربه ذي الجلال.

أما بعد: فإن الكلام في كتاب ربنا الرحمن – سبحانه – جليل القدر، عظيم الفضل؛ ذلك أنه يتعلق بخير الكلام، وصدق الحديث ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧]، و﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: ١٢٢].

وإن المرء لواجد في فرائصه ارتعادة، وفي قلبه بالله من الشيطان الرجيم استعاذة، وهو متعرض لكتاب ربنا الرحمن قولا أو بيانا أو شرحا أو تدبرا أو تفسيرا أو حول علم من علومه الكريمة – كرمه - كونها مستمدة منه ومتعلقة به.

وإن المرء ليملؤه وجل وإعظام لدى مطالعته لفهرس كتاب واحد متعلق بعلوم الكتاب المجيد، ليجد ذلك السيل الهادر من العلوم، من تعريفات، واصطلاحات، ومعاني، وأسماء، كاشفة، ومبينة لكريم المعنى، وعظيم المبنى، فهو كتاب وتبيان، وذكر وقرآن، وشفاء وفرقان، وهدى

وبيان، ورحمة وشافع وشهيد، ومحكم ومتشابه، وسبع طوال، ومفصل وحواميم، وخصائص وسمات، وأول ما نزل وآخر ما نزل، وأفضال وأسباب نزول، وناسخ ومنسوخ، ومكي ومدني، وعربي وعجمي (على خلاف)، ورسم إملائي وآخر عثماني، وأصل لغوي وآخر قياسي، وعام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومفصل، وأمر ونهي، ووعد ووعيد، وجنان وأنهار، وحميم ونار، وثواب وعقاب، وبدء وافتتاح، وانتهاء وختام، والسبع المثاني والزهراوان، والإخلاص ثلث القرآن، والمعوذتان حرز من الشيطان، وأنبياء وصديقون، وشهداء وصالحون، وحرام وحلال، وشرعنا وشرع ما قبلنا، ووعد ووعيد، وزجر وتهديد، وقصص وعبر، وأمم غابرة، وعصور ماضية، وأحداث حاضرة، وأعلام غائبة، علم علمها الأحد الفرد الصمد، الذي﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٣،٤].

وما وجل قلب امرئ مسلم وهو إذ يستحضر، هذا الركب الكريم من الملائكة الكرام البررة، وإذ يزف سورة الأنعام إلينا معاشر أهل الارض! وما ذهول امرئ مسلم، وهو إذ ينظر مد بصره، ليرى هذا الفوج العظيم بكل معاني العظمة ويعدهم عدا، إن تاق، ليجدهم سبعين ألف ملك، هم ضيوف أهل السماء إلى أهل الأرض، وهم أولاء يزفون إليهم سورة الأنعام!

هذا هو القرآن! ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة الرعد: ٣١].

هذا هو القرآن! ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

هذا هو القرآن! ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

هذا هو القرآن! ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[الزمر: ٢٣].

هذا هو القرآن! ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١].

هذا هو القرآن! فمن قصة الوليد بن المغيرة أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ عليه { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }[النحل:٩٠] قال أعد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر وقال لقومه والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته [١].

هذا هو القرآن! روى الترمذي فقال: (أخبرنا محمد بن يزيد الرفاعي، حدثنا الحسين الجعفي، عن حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث، عن الحارث، قال: دخلت المسجد، فإذا أناس يخوضون في أحاديث، فدخلت على علي، فقلت: ألا ترى أن أناسا يخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال: قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ستكون فتن». قلت: وما المخرج منها؟ قال: " كتاب الله، كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم،

(١) الاعتقاد للبيهقي: ٣١٠ خلاصة حكم المحدث: مرسل.

وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار، قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره، أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: **{إنا سمعنا قرآنا عجبا}** [الجن: ١] هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم " خذها إليك يا أعور. في إسناده مجهولان: أبو المختار سعد الطائي وابن أخي الحارث"[٢].

وقد تجشمت التعرض للكلام حول مسألة الرسم العثماني، باعتبارها علما من علوم القرآن المجيد، وحدا من حدوده، مؤتمرا في ذلك بأمر أكاديمية تفسير المباركة وإشراف الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الشرقاوي نفع الله به، كبحث مقدم؛ لنيل درجة النجاح والتفوق في مادة البحث العملي، راجياً من الله تعالى الإعانة والقبول، وهو سبحانه نعم المسؤول، وجوابه لعبده – بفضله– لمأمول، داعياً ربي الرحمن أن يكون التوفيق حليفاً، والإخلاص أليفاً.

(٢) الاعتقاد للبيهقي: ٣١٠ خلاصة حكم المحدث: مرسل.

وأشير أن هذا العمل وقف لله تعالى، ولا يجوز طباعته أو نشره لغرض تجاري، ومن أراد طباعته ونشره تبرعا، فإن له ذلك، ومن بعد إذن خطي من المؤلف.

البريد الإلكتروني للمؤلف: haledsayed398@gmail.com

أهمية البحث

وتبدو أهمية البحث باعتباره متعلقا بعلوم كتاب ربنا الرحمن سبحانه وتعالى في علاه، ومن جانب آخر، إمعانا في إعمال حد التواتر، من جيل إلى جيل آخر؛ إتماما لحلقاتها، وإعمالا لفائدتها، وكشفا لمعناها، وإنشاءً لمبناها.

ومنه؛ فلست مدعيا قصب سبق في هذا العلم، وإنما سبق من سبق، ومن خير ما قدم، ومن إلف ما ترك، وبعلمهم نستضيئ، فعليهم من الله تعالى الرحمات، ولهم منا شكر وعرفان وثناء.

ومن أولاء الذين سبقوا في الكلام إشباعا، وللظمآن إرواء، كأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) في كتابه (فضائل القران ومعالمه وآدابه)، والعلامة جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، والشيخ مناع القطان (ت ١٤٢٠ هـ) في كتابه (مباحث في علوم القرآن)، والشيخ فهد الرومي في كتابه (دراسات في علوم القرآن).

خطة البحث

وسوف يكون الكلام في هذه المسألة مبنيا على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالرسم العثماني.

المبحث الثاني: الفرق بين الرسم العثماني والرسم الإملائي.

المبحث الثالث: أقوال العلماء في حكم التزام الرسم العثماني.

المبحث الرابع: القول الراجح في المسألة.

ثم أردف ذلك بخاتمة أعرض فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، مستعينا في كلٍّ، وغيره، بالله تعالى ربنا الرحمن.

ثم أذكر قائمة بأهم المصادر، وأتبع ذلك فهرساً جامعاً لموضوعات البحث.

المبحث الأول

التعريف بالرسم العثماني

وسوف يكون الكلام فيه على خمسة مطالب:

المطلب الأول: وفيه أبين تعريف الرسم لغة واصطلاحاً.

والمطلب الثاني: أتناول فيه أقسام الرسم باعتبار موافقة رسم الكلمة للفظها.

والمطلب الثالث: أعرض لأقسام الرسم باعتبار قواعده وموضوعه.

المطلب الرابع: إطلالة تاريخية.

المطلب الخامس: أهمية اعتماد الرسم العثماني.

المطلب الأول

تعريف الرسم لغة واصطلاحا

الرسم لغة: هو الأثر. ومنه قول الشاعر جميل بن معمر العذري:

رسم دار وقفت في طَلَله... كدت أقضي الحياة من جَلَله

فالرسم هنا بمعنى آثار الدار.

ويراد بـ"الرسم" أثر الكتابة في اللفظ كذلك.

قال ابن فارس في مقاييس اللغة: "الراء والسين والميم أصلان: أحدهما الأثَر، والآخر ضربٌ من السير. فالأوّل الرّسْم: أثَرُ الشَّيء. ويقال ترسَّمْتُ الدّار، أي نظرتُ إلى رسومها.

قال غيلان:

أأَنْ ترسَّمْتَ مِن خَرقاءَ منزِلَةً

ماءُ الصَّبابةِ من عينَيْكَ مسجومُ.

وناقةٌ رَسومٌ: تؤثِّر في الأرض من شِدّة الوطْء.

والثَّوب المرسَّم: المخطَّط."

ومن مرادفات الرسم: الخطّ والكتابة والزبر والسطر والرقم والرشم بالشين المعجمة والوشم والنقش.

ولعل هذا كله، ومما يبدو منه أول مرة، أنه يدل على معنى متفق، وأصل متسق، من هكذا دلالته، على رسم معين، باعتبار الآلة، أو مما به كان مكتوبا، أو موضوعا، ومن قرائن دالة على كونها مجرد اختلاف عبارة، ويكأنها اتفاق ومن حيث الإشارة، وهي تلكم الكتابة رسما.

والرسم اصطلاحاً: تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها والوقف عليها [٣].

والعلاقة بين الرسم بمعناه اللغوي، وبين الرسم بمعناه الاصطلاحي قائمة.

إذ إن كونه أثراً لغة، وتصويراً اصطلاحاً، فإنهما يشتركان في مادة الإيجاد.

(٣) التعريفات للجرجاني: ص ١٣٣.

المطلب الثاني

أقسام الرسم باعتبار موافقة رسم الكلمة لفظها

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الرسم القياسي: إذا وافق رسم الكلمة لفظها نحو: (الحمد، يوم، نعبد، نستعين، اهدنا، صراط، أنعمت، غير، قال، سمع، كتاب...)

الثاني: الرسم الاصطلاحي: إذا خالف رسم الكلمة لفظها نحو: (الصلوة) بإبدال الألف واوا، (ضحيها) بإبدال الألف ياء، (ملك) بحذف الألف بعد الميم، (يأتين) بحذف الياء بعد النون،(أولئك) بزيادة الواو بعد الهمزة، (إنّ ما) بالفصل (ألاّ) بوصل (أن) بـ (لا).

المطلب الثالث

أقسام الرسم باعتبار قواعده وموضوعه

وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الرسم العروضي: وهذا خاص بتقطيع الشعر، ومعرفة وزنه وبحره.

وترسم الكلمة بناء على اعتبار، وأساس النطق بها، مقتفيا أثر الحركات على كلٍّ.

وهذا الذي يميزه، ومن حيث شكله، ورسمه، ولفظه.

القسم الثاني: الرسم الإملائي: ويعنى به: تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها والوقف عليها.

ولكنّه لا يخلو من مخالفة الرسم للفظ، ومما سيبين من بحثنا هذا إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أنّ كونه رسماً إملائياً يعني أنه توقيفي لا حيدة عنه، بل إنه قابل للتغيير من عصر إلى آخر، على ما أشار إليه الشيخ مناع القطان رحمه الله في كتابه (مباحث في علوم القرآن).

ومنه كان الحكم بوجوب القول بالرسم العثماني أدعى أثرا، وأحكم حفظا، وأثبت نظما، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وإذ لا يخفى الارتباط الوثيق بين الرسم والنظم، كونهما يشكلان معاً وجهي عملة واحدة من عملات الإعجاز في كتاب الله تعالى.

القسم الثالث: الرسم العثماني: وهو الذي يصطلح عليه البعض بالرسم الاصطلاحي أو التوقيفي، والمقصود به الرسم الذي كتب به المصحف الشريف، وأجمع عليه الصحابة على عهد الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنهم أجمعين، وهو المقصود بالبحث ها هنا.

وهنا لفتة أشير إليها؛ إذ أطلق المارغيني (الرسم التوقيفي) على الرسم العثماني. وذلك إمعانا في معنى التوقيف، حيث قال: (علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي [٤].

والرسم العثماني هو عين ما رسم به القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(٤) اتجاهات العلماء في ظواهر الرسم العثماني الدكتور: د: أسامة عبد الوهاب الحياني، بحث منشور في مجلة الجامعة العراقية ع(١/٣٤) ص: ٨٤،٨٥

وهذا من موجبات حفظ الله تعالى للقرآن الكريم. وتنزيل حق لنص قول الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

سبب التسمية: وإن تسمية الرسم بالعثماني نسبة إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وأرضاه، إذ تم بقرار منه، وموافقة اللجنة المشكلة من كبار الصحابة وعلمائهم وقت إذ. وهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن الزبير، وعروة بن الحارث، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

المطلب الرابع

إطلالة تاريخية

وتحسن إشارة موجزة إلى تاريخ القول بحفظ القرآن الكريم ورسمه ونظمه معا.

إذ بقي القرآن على ما هو عليه في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى عهد عثمان رضي الله عنه.

إلا أن القرآن الكريم كان قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبعة أحرف (أي بسبع لهجات) هي لهجات لغات قبائل العرب في ذلك الوقت؛ ليسهل عليهم فهم القرآن، كما أراد الله تعالى له أن يفهم.

وفي السنة الخامسة والعشرين الهجرية، إبان خلافة عثمان بن عفان صلى الله عليه وسلم، واتساع رقعة الفتوحات الإسلامية، ودخول غير العرب في الإسلام، بدأ أهل العراق والشام، وبعض الأمصار، بالاختلاف حول القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، فكان يُكفّر بعضهم بعضًا.

إذ كانت اللغة العربية تكتب بدون نقاط تُميز بها الحروف. فقد كان العرب بحكم أنها لغتهم يمكنهم التفريق بينها من سياق الكلام، في حين أن غير العرب الذين دخلوا الإسلام لا يمكنهم التفريق بينها كما يحسنه

العرب، كذلك لم يكن هناك علامات للتشكيل لتمييز المرفوع عن المنصوب أو المجرور. ومن هنا كان منشأ الاختلاف.

فقام عثمان بتشكيل لجنة من كَتَبَة الوحي أيام رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنسخ القرآن من تلك النسخة التي تم جمعها في عهد الخليفة أبى بكر والتي كانت موجودة في بيت السيدة حفصة، زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبنت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وأمرهم بنسخ القرآن الكريم، من واقع القراءة الثابتة المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهي قراءة أهل مكة.

فعن أنس بن مالك: أن حُذيفة بن اليمان قَدِم عَلى عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل

أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق[٥].

وسمِّي هذا المصحف بمصحف عثمان أو المصحف الإمام، ولم يبق سوى هذا المصحف منذ عهده. وهي النسخة التي تطبع حاليا بالرسم العثماني في كل أنحاء العالم الإسلامي.

(وقوله – أي الناظم -: جمعه في الصحف إلى آخره كالدليل على دعوى ثبوت الرسم عن الصحابة أبان به أنهم لم يقصروا في إثبات رسمه كما لم يقصروا في جمعه وقد جمعه أولا أبو بكر الصديق بإشارة عمر وباشر ذلك زيد بن ثابت رضوان الله عليهم [٦].

وسبب ذلك- أي سبب جمع أبي بكر رضي الله عنه- وقعة اليمامة، وقتال مسيلمة، واستشهاد كثير من قراء المسلمين.

قال: وسبب جمع عثمان رضي الله عنه الاختلاف في قراءته.

وذكر خبر حذيفة السابق ذكره.

إلى أن قال: وتلخص من ذلك:

أولاً: أن القرآن كان في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه محفوظاً في الصدور مكتوباً في الرقاع والعسب واللخاف غير مجموع ولا مرتب.

---

(٥) صحيح البخاري: ٤٧٠٢.

(٦) لطائف البيان في رسم القران، ط دار الصحابة للتراث بطنطا: ص ١٥.

ثانياً: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه معناه ترتيب آيات كل سورة على حدة وإن ظلت السور بعد ذلك مفرقة لم يرتب بعضها إثر بعض.

ثالثاً: جمع عثان له معناه ترتيب سوره ونسخه من الصحف في مصحف واحد جامعا لكل آياته وسوره على الترتيب الذي نقرؤه به، ونشاهده اليوم.

قال: والفرق إذن بين الصحف والمصاحف:

أن الصحف: هي ما جمع فيها أبوبكر رضي الله عنه سور القرآن بعد ترتيب آياتها من غير رعاية ترتيب السور.

والمصحف هو: ما جمعت فيه تلك الصحف بعد ترتيب سورها [٧].

قلت: وفيه إثبات عنايتهم – رضي الله عنهم – بما استحفظوا به من كتاب الله تعالى وكانوا عليه - نزوله - شهداء.

قلت أيضا: وهو إحكام في الحفظ لحفظ الله تعالى له إذ قيض هذا الركب الكرام - سببا – لحفظ كتابه جمعا ونسخا.

---

(٧) المرجع السابق، ص١٦.

المطلب الخامس

أهمية اعتماد الرسم العثماني

١) توحيد الأمة على مصحف واحد توحيداً لها وجمعاً لشملها.

٢) العلم بأوجه القراءات المتعددة للقرآن الكريم. وكونها تخدم ولاشك معانيه وتبرز مآلاته ودلالاته.

٣) الوقوف على سعة اللغة العربية بتشعب لهجاتها وتعدد مواردها.

٤) العلم بإثراء القرآن الكريم للغة العربية، ومحافظته على هذا العدد الوفير من اللهجات، حتى صارت علماً وعملًا في آن.

٥) الوقوف على هذا الجهد العظيم المبذول في الحفاظ على القرآن الكريم، وخدمة علومه، من لدن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام، حتى توارثه الناس من بعدهم.

٦) الوقوف العملي على قول الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف[٨].

(٨) صحيح البخاري: ٣٢١٩

٧) هذه الحروف، وهذه القراءات، كان لهما الفضل في استظهار الأوجه اللغوية والإعجازية المختلفة للقرآن الكريم.

٨) سعة أبواب الفقه ومسائله لها تعلق عظيم بأوجه القراءات. وتعدد أوجه الفقه في مسألة الملامسة ليست بخافية، تأسيسا على قراءتي (لامستم، لمستم).

٩) إغلاق باب التنازع في القرآن، وجعله مادة لنزاع مختلفي الثقافات ومتنوعي المصادر المعرفية.

١٠) المحافظة على منهج قراءة القران الكريم مشافهة، تبركا بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بلا شك أقوى أثرا في نفس القارئ والمستمع على السواء.

١١) المحافظة على القرآن الكريم، أن يكون مادة للخطأ واللغط.

المبحث الثاني

الفرق بين الرسم العثماني والرسم الإملائي

وطالما أن قلنا بأن ثمة رسماً عثمانياً وآخر إملائياً فكان شيئاً طبيعياً بروز التساؤل حول ماهية الفروق بينهما. وتفسير العلماء لدلالة الاختلاف بين صورتي اللفظ الواحد مع الاحتفاظ بذات المعنى والدلالة.

وسوف يكون الكلام في الشأن في مطلبين: يعالج المطلب الأول مسائل الاختلاف بين الرسم العثماني والرسم الإملائي ومظاهره.

ويختص المطلب الثاني في بيان أوجه تفسير العلماء لهذا التباين في صورتي اللفظ الواحد.

المطلب الأول

مسائل الاختلاف بين الرسم العثماني والرسم الاملائي

قالوا: إن الفروق بينهما تبرز في مسائل سبعة هي: الحذف والزيادة والفصل والوصل والإبدال والهمز وما فيه قراءتان.

وأعالج كلا منها في فرع مستقل:

الفرع الأول: الحذف

وحروفه خمسة، وهي حروف المد الثلاثة (الألف والواو والياء)، واللام والنون وهو قليل فيهما.

أولا: حذف الألف: وهو ثلاثة أنواع:

أ- حذف الإشارة: وهو ما أشير به لبعض القراءات. ومثال حذف الإشارة في الألف: ﴿ وَوَاعَدْنَا ﴾[الأعراف: ١٤٢]. إذ حذفت الألف التي بعد الواو الثانية.

ب- حذف الاختصار: وهو ما لا يختص بكلمة دون نظائرها. ومثاله، حذف الألف في ﴿ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٢].

ج- حذف الاقتصار: وهو ما يختص بكلمة دون نظائرها. ومن كمثل كلمة (الميعد) [الأنفال: ٤٢]. و(الكفّر) [الرعد: ٤٢]. و(يَعْفُوَ) [النساء: ٩٩].

ثانيا: الحذف في الياء: كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[سورة النساء: ٤٠]. حيث حذف ياء (يؤتي) بلا سبب الجزم مثلاً. مع أنه قد جاء إثباتها في قوله تعالى ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. ومنه أيضاً حذف الياء في قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦]. حيث حذف ياء (الداعي) بلا سبب.

ثالثا: حذف الواو: كما في قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦]. حيث حذف واو يدعو بلا سبب الجزم كذلك. وكذا كما في قوله تعالى ﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾[الإسراء: ١١].

رابعا: حذف اللام: كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾[فصلت: ٢٩]. حيث حذف اللام الثانية من (اللذين).

الفرع الثاني: الزيادة

وتكون في حروف المد الثلاثة (الألف والواو والياء).

ومثال زيادة الألف: بنوا، أولوا، ملاقوا، تفتؤا.

ومثال زيادة الواو: أولوا، أولات، أولاء، أولئك.

ومثال زيادة الياء: نبإي، بأييكم، بأييد.

الفرع الثالث: الفصل

كما في قوله تعالى ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]. حيث فصلت إن عن ما، و قوله تعالى ﴿ وحيث ما كنتم ﴾ [البقرة:١٤٤]،حيث فصلت حيث عن ما.

الفرع الرابع :الوصل

كما قوله تعالى ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]. حيث وصلت (أن) ب(ما)، في ﴿ أَمَّا اشْتَمَلَتْ ﴾.

وكما في قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾[يونس: ٤٦]

حيث وصلت (إن) ب (ما)، في ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾.

الفرع الخامس:ما فيه قراءتان

١) كمثل ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. حيث جاءت في قراءة (وأوصى).

قال القرطبي: ووصى وأوصى لغتان لقريش وغيرهم بمعنى، مثل كرمنا وأكرمنا، وقرئ بهما. وفي مصحف عبد الله " ووصى "، وفي مصحف عثمان " وأوصى " وهي قراءة أهل المدينة والشام الباقون " ووصى " وفيه معنى التكثير [٩].

(٩) تفسير القرطبي، القرطبي: ج ٢ / ١٣٥

الفرع السادس: الإبدال

كأن ترسم الألف واوا، كما في قوله تعالى: (الصلوة، الزكوة، الحيوة). أو أن ترسم ياء، كما في (يا أسفى، ياحسرتى). أو أن ترسم تاء التأنيث تاء مبسوطة مفتوحة، كما في قوله (شجرت، امرأت، ابنت)

الفرع السابع: الهمز

كما في قوله تعالى ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٧٦]. حيث جاءت بإثبات الهمزة، وفي قراءة نافع وابن عمرو وابن كثير وأبو جعفر (ليكة) بدون همزة.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: كذب أصحاب الأيكة المرسلين الأيك الشجر الملتف الكثير، الواحدة أيكة. ومن قرأ: أصحاب الأيكة فهي الغيضة. ومن قرأ: (ليكة) فهو اسم القرية. ويقال: هما مثل بكة ومكة؛ قاله الجوهري. وقال النحاس: وقرأ أبو جعفر ونافع: (كذب أصحاب ليكة المرسلين) وكذا قرأ: في (ص). وأجمع القراء على الخفض في التي في سورة (الحجر) والتي في سورة (ق) فيجب أن يرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه إذ

كان المعنى واحدا. وأما ما حكاه أبو عبيد من أن (ليكة) هي اسم القرية التي كانوا فيها وأن الأيكة اسم البلد فشيء لا يثبت ولا يعرف من قاله فيثبت علمه، ولو عرف من قاله لكان فيه نظر؛ لأن أهل العلم جميعا من أهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه. وروى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة قال: أرسل شعيب عليه السلام إلى أمتين: إلى قومه من أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة ؛ قال: والأيكة غيضة من شجر ملتف. وروى سعيد عن قتادة قال: كان أصحاب الأيكة أهل غيضة وشجر وكانت عامة شجرهم الدوم وهو شجر المقل. وروى ابن جبير عن الضحاك قال: خرج أصحاب الأيكة - يعني حين أصابهم الحر - فانضموا إلى الغيضة والشجر، فأرسل الله عليهم سحابة فاستظلوا تحتها، فلما تكاملوا تحتها أحرقوا. ولو لم يكن هذا إلا ما روي عن ابن عباس قال: و (الأيكة) الشجر. ولا نعلم بين أهل اللغة اختلافا أن الأيكة الشجر الملتف، فأما احتجاج بعض من احتج بقراءة من قرأ في هذين الموضعين بالفتح أنه في السواد (ليكة) فلا حجة له؛ والقول فيه: إن أصله الأيكة ثم خففت الهمزة فألقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت عن ألف الوصل؛ لأن اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا إلا الخفض؛ كما تقول " بالأحمر " تحقق الهمزة

ثم تخففها " بلحمر " فإن شئت كتبته في الخط على ما كتبته أولا، وإن شئت كتبته بالحذف؛ ولم يجز إلا الخفض؛ قال سيبويه: واعلم أن ما لا ينصرف إذا دخلت عليه الألف واللام أو أضيف انصرف؛ ولا نعلم أحدا خالف سيبويه في هذا. وقال الخليل: الأيكة غيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر [١٠].

هذا، وقد راح قوم بلا مستند من دليل أو استدلال من علم ناهض؛ إثبات إعجاز القرآن الكريم من جوانب الرسم المختلفة، ولكنهم دخلوا البيت من غير بابه، فجاسوا غارقين في وحل، لم يستطيعوا منه خروجا كما ولجوه!

ولاشك أن إعجاز القرآن الكريم نظما ورسما هو دين ندين الله تعالى به، ولكن تحميل النصوص بما حملوه بها أمر خارج عن حدود العلم ومقتضى الدليل كما سلف.

وممن كتبوا في هذا ابن البنا المراكشي [١١]. والمهندس محمد شملول[١٢]

قلت: وليس بيان ذلك من موضوع بحثنا لكن الإشارة إليه من طرف وحسب.

---

(١٠) تفسير القرطبي، القرطبي: ج ١٣ / ١٣٤

(١١) لطائف البيان في رسم القرآن، ط دار الصحابة للتراث بطنطا: ص ١٥.

(١٢) في كتابه (إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة).

ومنه يتضح جلاء أن التباين بين الرسمين هو اختلاف في الصورة لا أكثر.

ومنه أيضاً عدم بروز شيء من اختلاف المعنى، سواء قلنا بالرسم العثماني، أو الرسم الإملائي، في هذا الموضع أو ذاك. بل يظل المعنى واحداً في الحالين معا. إن هي إلا اعتبارات ومسوغات سوف تلقي بظلالها الوارفة بعد قليل في هذا البحث إن شاء الله.

وكما سبق بيانه، فإن ذلك، وإذ يعد من قبيل من أوجه الإعجاز في كتاب الله تعالى القرآن الكريم.

المطلب الثاني

تفسير العلماء لمسائل الاختلاف بين الرسم القرآني والرسم الاملائي

ولقائل أن يقول: ما دمنا قد سلمنا بألا ثمة فرق بين الرسم العثماني والرسم الإملائي من حيث المعنى، فلم إذن إعطاء المسألة هذه المساحة من البحث والدراسة؟

والجواب المتبادر أننا أمام لهجات عربية هي أساس هذا الاختلاف بين الرسمين، وسبب وجود كل منهما أبدا؛ ولذا كان من التاريخ لكتابة القرآن الكريم ونسخه التعرض لبيان ما جاز أن يسمى (شهادة المنشأ) لهذا التباين في الصورة. كيما نجيب على تساؤلات سوف لا يغض التاريخ العين عنها، إن على لسان متسائل، أو باحث.

وهذا الذي وقع في القرون المتأخرة من تطاول على كتاب الله تعالى من هذا الجانب أو ذاك. ولذا كان البيان لازما.

وكما أن فيه إثراء لمادة العلم، وعلوم القرآن تبعا.

وللتأكيد أيضاً على كون أن هذا التباين لا أثر له في المعنى.

إذا كان ذلك كذلك، فإن السؤال الملائم لما سبق بيانه هو: ما الفرق في المعنى بين الصورتين (الصلوة) و(الصلاة)؟ وما الفرق في المعنى كذلك؛ بين الصورتين (يا حسرتا)، و (يا حسرتى)، وما نحا نحو هذا؟

وحيث لا فرق فقد بان المقصود والحمد لله.

هذا ؛ وإذا أكدنا أن لغة العرب متواترة على هذا التباين اللفظي مع الاحتفاظ بذات الدلالة والمعنى، فقد بان الأمر أكثر.

لكن التساؤل مازال قائماً؟!

إذ ما دمنا قد سلمنا بألا وجه للخلاف بين الصورتين للفظ الواحد من حيث المعنى! فما سر وجوده ابتداء، وإلا كان عبثا، واللغة التي بها نزل القرآن الكريم تتسم بالإبانة والوضوح والإيضاح وتبرأ – براءتها – من الطلاسم والأساطير؟!

ذلكم أيضاً، والقرآن الكريم نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٥].

هذا ؛ وقد تعددت مذاهب العلماء في تفسيرهم لظواهر الرسم العثماني للقرآن الكريم.

المذهب الأول: توجيه ظواهر الرسم توجيهاً لغوياً نحوياً وصرفياً: بمعنى أن كتابة اللفظ بصورة مخالفة لرسمه الإملائي، إنما هو مما تحتمله قواعد اللغة ومدلولاتها، وليس فيه خروج إذن عن ذلك، وبالتالي يكون الأمر مستقيماً، ولا غرابة فيه. خاصة وأن العرب قد تركت لنا ميراثاً غنياً في هذا الشأن. كما سأبين لاحقاً إن شاء الله تعالى.

المذهب الثاني: إن الاختلاف بين رسم الكلمة إنما هو نابع من التطور التاريخي للكتابة من عصر إلى آخر: ومنه أيضاً يكون الأمر سائغا تحتمله مضامين التطور التاريخي في كل فن، واللغة لا تخرج عن هذا النظام. ومن رواد هذا الاتجاه الدكتور غانم قدوري الحمد في كتابه (رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية).

وهو مما يحتاط له في هذا الشأن. إذ إن القول به سيفتح علينا باباً كذاك الذي فتحته نظرية دارون وتكون اللغة حينئذ محلا للاجتهاد، ولا سيما في قواعدها، وقواد اللغة ليست محلا ولا ينبغي أن تكون له محلا، ولأن ذلك سوف ينسحب بطبيعة

الحال على الولوج في القرآن الكريم، ونكون ههنا قد أخذنا على حين غرة من أمر قرآننا!

المذهب الثالث: وبين معلل لذلك بما تقتضيه أصوات الحروف:

إذ تخضع صورة الحرف في نظرهم لا إلى رسمه الإملائي فحسب، وإنما لمخرجه الصوتي كذلك. ومن ثم يكتب على مقتضى الإخراج اللفظي والصوتي معا.

ويبرر أصحاب هذا الاتجاه منحاهم هذا، بتأثر الحروف حال نطقها بالغنة أو القلقلة أو الإخفاء أو الإمالة أو التسهيل، بحيث يمكن القول إن صورة الحرف حال نطقه بغنة ليختلف تماما عن نطقه مستقلا عنها.

وممن قال بهذا الاتجاه الدكتور طارق الخوالدة في كتابه (التفسيرات الصوتية لرسم المصحف).

قلت: ورسم الكلمات على نحو لفظي متعدد يمثل أصلا في أية لغة، ولا يمثل خروجاً عن المألوف فيها.

فإن العرب تسقط حرفاً أو تزيد لمقتضيات عدة تسهيلاً أو لكثرة استعمال.

وقد ذكر صاحب الألفية رحمه الله تعالى ما يشير إلى أن العرب قد تسقط حرفا أو حرفين أو ثلاثة حروف من الكلمة حتى صار عرفاً عربياً. وهو ما أكسب لغتنا الجميلة ثراءها وأغزر دررها- ولله الحمد- حتى صارت مادة سلسة ندية، وحتى دامت مائدة شهية، ينهل من لآلئها الأدباء، ويجني من حدائقها الحكماء.

وهنا وحسب يمكن أن نقف وينتهي الأمر، لكن البحث فرضته تعدد الفرضيات في هذا الشأن. وهو أمر محمود على كل حال لأن غسيل الثوب غيرة مرة يزيده لمعانا، ووضوء المسلم إسباغاً ينير وجهه، ويضيئ قلبه!

قلت أيضاً: وحتى في غير اللغة العربية توجد ألفاظ متعددة لمعنى واحد. كما في الإنجليزية الأمريكية والإنجليزية البريطانية.

والجمع بين الاتجاهات يجعل البحث عميقاً عمق البحر فتزداد لآلئه ليبدو شهياً فتكثر موائده!

إطلالة بحثية

والآن أطل إطلالة أبين المقصود، لأجمع المنثور، وأكشف المنشور، فأقول بالله مستعيناً:

أولا: إن كثرة استعمال اللفظ ودورانه على الألسنة مؤذن بجواز حذف أحد حروفه. وقد جرت عادة العرب على ذلك، وأخذه الناس عنهم بالتواتر، بلا نكير، ولا مؤاخذ. كمثل حذف الألف في كلمة ﴿ الرَّحْمَٰنُ﴾ [الرحمن: ١]. ونظائره. سواء وردت على لسان تال أو كاتب للقرآن أو غيره باللغة العربية.

قال الخراز في منظومته (مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن):

وللجميع حذف في الرحمن حيث أتى في جملة القرآن
كذاك لا خلاف بين الأمة في الحذف في اسم الله واللهمه
لكثرة الدور والاستعمال على لسان لافظ وتال

ثانيا: وقد تواتر عن العرب كثرة الحذف لاعتبارات كثيرة تسهيلاً واختصاراً. كما ذكر صاحب الألفية من مثل كلمة (يا صاح) بحذف حرفي الباء- وهي أصلية- في كلمة (صاحب) وكذا حذف المضاف إليه

(ياء المتكلم)، ويقصد بها (يا صاحبي)، ومن قول ابن مالك:

يا صاح هل حم عيش باقيا فترى

لنفسك العذر في إبعادها الأملا؟

ثالثا: وما جاء في كتاب الله تعالى، في قوله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. ويقصد بها (يا أبتي).

هذا ؛ واعتبار التيسير والتسهيل اللغويين هو ما يتماشى مع القول بقبول هذا التباين بين صورتي اللفظ الواحد. ومنه أيضا حذف الواو؛ كما في قوله تعالى ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [سورة العلق: ١٨]. ونظائره. ومنه حذف الياء، كما في قوله تعالى ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[الفجر: ٤]. ونظائره.

رابعا: والتمكين والإشباع باب من أبواب اعتبار الاختلاف بين صورتي اللفظ الواحد؛ اشباعا لحركة الحرف:

١- **حال الفتحة: فتزاد الألف:** ١- بعد واو متطرفة؛ كما في قوله تعالى (يعبؤا، تفتؤا، ولا تظمؤا، نبؤا، الضعفؤا، العلمؤا).

وهذا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: زيادة الألف من أول الكلمة: تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود مثل {لأذبحنه} و: {ولأ وضعوا خلالكم} زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظا فالذبح أشد من العذاب والإيضاع أشد إفسادا من زيادة الخبال واختلفت المصاحف في حرفين: {لا إلى الجحيم} و: {لا إلى الله تحشرون} فمن رأى أن مرجعهم إلى الجحيم أشد من أكل الزقوم وشرب الحميم وأن حشرهم إلى الله أشد عليهم من موتهم أو قتلهم في الدنيا أثبت الألف ومن لم ير ذلك لأنه غيب عنا فلم يستو القسمان في العلم بهما لم يثبته وهو أولى. وكذلك: **{ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس} {أفلم ييأس}** لأن الصبر وانتظار الفرج أخف من الإياس والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار.

والقسم الثاني: يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة يحصل في الوجود لزيادتها بعد الواو في الأفعال نحو يرجوا ويدعوا وذلك لأن

الفعل أثقل من الاسم لأنه يستلزم فاعلا فهو جملة والاسم مفرد لا يستلزم غيره فالفعل أزيد من الاسم في الوجود والواو أثقل حروف المد واللين والضمة أثقل الحركات والمتحرك أثقل من الساكن فزيدت الألف تنبيها على ثقل الجملة وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل فمع الواو التي هي ضمير الفاعلين أولى لأن الكلمة جملة مثل قالوا وعصوا إلا أن يكون الفعل مضارعا وفيه النون علامة الرفع فتختص الواو بالنون التي هي من جهة تمام الفعل إذ هي إعرابه فيصير ككلمة واحدة وسطها واو كالعيون والسكون فإن دخل ناصب أو جازم مثل: **{فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا}** ثبتت الألف.

وقد تسقط مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل نحو: **{سعوا في آياتنا معاجزين}** فإنه سعي في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود.

وكذلك: {وجاءوا بسحر عظيم} و: **{جاءوا ظلما وزورا}** **{وجاءوا أباهم}** **{وجاءوا على قميصه}** فإن هذا المجيء ليس على وجهه الصحيح.

وكذلك: {فإن فاءوا} وهو فيء بالقلب والاعتقاد.

وكذا: {تبوأوا الدار والأيمان} اختاروها سكنا لكن لا على الجهة المحسوسة لأنه سوى بينهما وإنما اختاروها سكنا لمرضاة الله بدليل

وصفهم بالإيثار مع الخصاصة فهذا دليل زهدهم في محسوسات الدنيا وكذلك: {فاءوا} لأنه رجوع معنوي.

وكذلك: **{عسى الله أن يعفو عنهم}** حذفت ألفه لأن كيفية هذا الفعل لا تدرك إذ هو ترك المؤاخذة إنما هو أمر عقلي.

وكذلك: **{وعتوا عتوا كبيرا}** هذا عتو على الله لذلك وصفه بالكبر فهو باطل في الوجود.

وكذلك سقطت من: {وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون} ولم تسقط من **{وإذا ما غضبوا هم يغفرون}** لأن غضبوا جملة بعدها أخرى والضمير مؤكد للفاعل في الجملة الأولى وكالوهم جملة واحدة الضمير جزء منها.

وكذلك زيدت الألف بعد الهمزة في حرفين: **{إني أريد أن تبوء}** و: **{ما إن مفاتحه لتنوء}** تنبيها على تفصيل المعنى فإنه يبوء بإثمين من فعل واحد وتنوء المفاتح بالعصبة فهو نوءان للمفاتح لأنها بثقلها أثقلتهم فمالت وأمالتهم وفيه تذكير بالمناسبة يتوجه به من مفاتح كنوز مال الدنيا المحسوس إلى مفاتح كنوز العلم الذي ينوء بالعصبة أولي القوة في يقينهم إلى ما عند الله في الدار الآخرة.

وكذلك زيدت بعد الهمزة من قوله: **{كأمثال اللؤلؤا}** تنبيها على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون وعلى تفصيل الإفراد

يدل عليه قوله: {كأمثال} وهو على خلاف حال: {كأنهم لؤلؤ} فلم تزد الألف للإجمال وخفاء التفصيل.

وقال أبو عمرو كتبوا اللؤلؤا في الحج والملائكة بالألف واختلف في زيادتها فقال أبو عمرو كما زادوها في كانوا وقال الكسائي لمكان الهمزة.

وعن محمد بن عيسى الأصبهاني كل ما في القرآن من لؤلؤ فبغير الألف في مصاحف البصريين إلا في موضعين في الحج والإنسان.

وقال عاصم الجحدري كلها في مصحف عثمان بالألف إلا التي في الملائكة.

والقسم الثالث: تكون لمعنى في نفس الكلمة ظاهر مثل: **{وجيء يومئذ بجهنم}** زيدت الألف دليلا على أن هذا المجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجيء وقد عبر عنه بالماضي ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله فيستوي في علمنا ملكها وملكوتها في ذلك المجيء ويدل عليه قوله تعالى في موضع آخر: **{وبرزت الجحيم}** وقوله: **{إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا}**.

هذا بخلاف حال: **{وجيء بالنبيين والشهداء}** حيث لم تكتب الألف لأنه على المعروف في الدنيا وفي تأوله بمعنى البروز في المحشر لتعظيم جناب الحق أثبتت الألف فيه أيضا.

وكذلك: **{ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا}** الشيء هنا معدوم وإنما علمناه من تصور مثله الذي قد وقع في الوجود فنقل له الاسم فيه من حيث إنه يقدر أنه يكون مثله في الوجود فزيدت الألف تنبيها على اعتبار المعدوم من جهة تقدير الوجود إذ هو موجود في الأذهان معدوم في الأعيان.

وهذا بخلاف قوله في النحل: **{إنما قولنا لشيء إذا أردناه}**. فإن الشيء هنا من جهة قول الله لا يعلم كيف ذلك بل نؤمن به تسليما لله سبحانه فيه فإنه سبحانه يعلم الأشياء بعلمه لا بها ونحن نعلمها بوجودها لا بعلمنا فلا تشبيه ولا تعطيل.

وكذلك: **{إلى فرعون وملأه}** زيدت الألف بين اللام والهمزة تنبيها على تفصيل مهم ظاهر الوجود.

ومثله زيادتها في مائة لأنه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتبتين آحاد وعشرات.

قال أبو عمرو في المقنع لا خلاف في رسم ألف الوصل الناقصة من اللفظ في الدرج نحو: {عيسى ابن مريم} {والمسيح ابن مريم} وهو

نعت كما أثبتوها في الخبر نحو: {عزير ابن الله} و: {المسيح ابن الله} ولم تحذف إلا في خمسة مواضع.

قال: ولا خلاف في زيادة الألف بعد الميم في مائة ومائتين حيث وقعا ولم تزد في فئة ولا فئتين وزيدت في نحو: {تبوء بإثمي} و: {لتنوء بالعصبة} ولا أعلم همزة متطرفة قبلها ساكن رسمت خطا في المصحف إلا في هذين الموضعين ولا أعلم همزة متوسطة قبلها ساكن رسمت في المصحف إلا في قوله: {موئلا} في الكهف لا غير.

وحال الضمة: فتزاد الواو: كما في {أُولِي}، ومن قوله تعالى **{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**. وأولوا نحو: **{وَأُولُوا الْأَرْحَامِ}** ، وأولات نحو: **{وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ}** كيف يأتي في القرآن أي سواء اتصل به حرف خطاب لمفرد، أو غيره أم لا نحو: {أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ}، و: **{أُولَئِكَ عَلَى هُدىً}**، و: **{وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا}** [١٣].

وحال الكسر فتزاد الياء؛ كما في قوله تعالى فيقول: **{نَّبَإِيْ}** [الأنعام: ٣٤]. وقوله تعالى **{تِلْقَآيِ}** [يونس: ١٥]. وقوله تعالى **{وَإِيتَآيِ}** [النحل: ٩٠]. وقوله تعالى **{ءَانَآيِ}** [طه: ١٣٠] .

(١٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ج ١ / ٣٧٦

خامسا: وقواعد النحو والصرف معا تؤثر كل منهما في هذا الباب.

سادسا: وغني عن البيان أنه يوجد من العرب من ينطق الكلمة بالإمالة.

ومنه كان عندهم إبدال الألف ياء؛ كما في قوله تعالى (والضحى، سجى، قلى، الأولى، فترضى، آوى، هدى، أغنى) [سورة الضحى] حيث أبدلت الألف ياء للإمالة.

وتكتب الكلمة في القرآن الكريم على الوجهين كل في موضع لبيان جواز الوجهين. كما في قوله تعالى ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٤٥]. حيث جاءت بزيادة الواو قبلها على حرف الهمزة. وكما في قوله تعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ ﴾ [غافر:٢٩]. حيث جاءت بدون زيادة الواو. ونظائره في القرآن الكريم على هذا النحو.

سابعا: والتفخيم سبب من أسباب الاختلاف بين الرسمين، وداع من دواعيها. وقد مثلوا لذلك كما في (الصلوة) ولفظ الجلالة (الله) ونظائرهما. قال سيبويأ: وألف التفخيم يعني بلغة الحجاز في قولهم: (الصلوة) و(الزكاة) و(الحيوة) [١٤].

(١٤) النحو والصرف، سيبويه: ٤/ ٤٣١

ثامنا: واعتبروا كلا من الوصل والوقف سبباً وجيهاً لاختلاف الرسمين أيضاً.

ويشار ههنا إلى نقطة هامة ؛ ذلك أن مواطن الاختلاف بين الرسم العثماني والرسم الإملائي ليست إلا قليلة في القرآن الكريم قياساً على آيات الكتاب الكريم الكثيرة. وليست من الكثرة الموغلة، أو التعددية المؤلمة، والتي بسببها يمكن أن يقال كونها على نسقه العام أو سياقه مؤثرة. مما كان حاصله على كل حال ارتداء كتاب الله تعالى حلة كسته بهاء، وغمرته نوراً وضياءً!

فلسنا إذن أمام نسق واحد ،وأداء واحد، ولربما انتهى بنا إلى ملل ورتابة، لم تسعفانا إلى مواصلة الترتيل والقراءة فإن ههنا إمالة، وهناك تفخيم، وهنالك ترقيق، ودونك إشباع، وأمامك تمكين، وهاك سرعة، وإليك بطئا! كل هذا - ومن قبيله - يجعلنا أمام حديقة غناء، وبساتين زهراء، فكانت بذلك حلوة نضرة، تسر الناظرين، وفيها صبغٌ للآكلين، وغذاءٌ للقلوب، وتفريجٌ للكروب! ومن نسق القرآن العظيم المعروف، ومن أدائه المعهود.

المبحث الثالث

أقوال العلماء في حكم التزام الرسم العثماني

سبق أن ذكرت نهاية المبحث الثاني أن الكلمات المخالفة للرسم الإملائي في كتاب الله تعالى قليلة قياساً على آياته الكثيرة عدداً وفضلاً.

وذكرت أن هذا مما أكسب القرآن الكريم بهاء أعظم، ومهابة أقوم!

بيد أنه مما تجدر الإشارة إليه أنه، والأمر كذلك، فإنه يمكن القول إذن إن القرآن جله قياسي على مقتضى قواعد الإملاء ولله الحمد.

إلا أن وجود بعض كلماته مختلفة في رسمها الإملائي، كما سبق بيانه، وضع العلماء باحثين حول حكم التزام الرسم العثماني في هذا العدد القليل من الآيات.

وكانوا بذلك متواترين على ثلاثة أقوال، ما بين قائل بالتوقيف وهو قول جمهرة أهل العلم، وقائل بالجواز، وثالث يقول بالتفرقة بين المصاحف العامة فتكتب بالرسم الإملائي وبين المصاحف الخاصة فتكتب بالرسم العثماني.

و الآن حان وقت التفصيل بعد الإجمال، في مطالب ثلاثة.

والله تعالى أستمد منه العون والتوفيق والسداد والإرشاد في الحال وفي المآل إلى يوم المعاد.

المطلب الأول

المذهب الأول: مذهب الجمهور.

خلاصة قول الجمهور في هذه المسألة هو أن الرسم العثماني توقيفي.

وعليه يجب الالتزام به. ولا يجوز العدول عنه إلى الرسم الإملائي.

أدلة الجمهور: **إن كتابة القرآن الكريم قد تمت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، على أيدي كبار الصحابة- رضي الله تعالى عنهم- من أمثال عبد الله بن عباس، وزيد بن ثابت، وهم يعرفون قواعد ما يكتبون، وما به نزل، وعلى أية صورة، وقد تابعها عليه الصلاة بنفسه؛ مما يعد إقرارا عمليا بصحة ما كتبوه رضي الله عنهم.**

قالوا: بل إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أشار بالتعديل، في المواطن، التي كانت بحاجة إلى ذلكم تعديل، إن وجد على - قلته- واستدلوا لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه (ألق الدواة، وحرف القلم، وانصب الياء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسّن الله، ومدّ "الرحمن" وجود "الرحيم"

وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك) [١٥].

قالوا: وقد سار على نهج الحفظ لنسخ القرآن أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ومن معه من الصحابة آنذاك، وتلقوه بالقبول، ولم تذكر الروايات أنهم لاحظوا ملحظا فلاحظوه، أو تعديلاً فعدلوه. وقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه بحفظ القرآن جمعاً وكتابة، على نفس الكتابة والنسخ، الموجود في الصحف، وفي الرقاع، التي كتب فيها على عهده صلى الله عليه وسلم، دونما تعديل؛ بناء على مشورة الإمام عمر رضي الله تعالى عنه بعد موقعة اليمامة كما سلف بيانه.

وفي عهد عثمان- رضي الله تعالى عنه- لما كثر الخلاف بين قراء الأمصار، وخشي عليهم من الاقتتال؛ بسبب اختلاف اللغات

(١٥) الحديث فيه كلام. قال ابن حجر في (لسان الميزان) (٧/ ١٣٨): محمد بن زكريا إن لم يكن هو الغلابي فلا أدري من هو لكني وجدت له هذا الحديث الباطل قرأته بخط الحافظ أبي عبد الله بن الأبار قال نقلت من خط أبي بكر بن العربي قال فقرأت على المبارك بن عبد الجبار عن الحسن بن علي الخلال حدثنا محمد بن المظفر حدثنا محمد بن عبد الله بن زكريا حدثنا الجندي حدثنا سفيان بمصر حدثنا عبد الوهاب بن خلف بن عمرو المصري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذ ادعا رجلاً إلى الكتابة يقول ألق الدواة وعن سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال: " كان النبي إذا دعا رجلا إلى الكتابة يقول: ألق الدواة، وحرف القلم، وجود (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ): أقم (الباء) وفرج (السين) وافتح (الميم) وحسن (الله)، وجود (الرحمن الرحيم)، فإن رجلا من بني إسرائيل كتبها فجودها فدخل الجنة " ورواه محمد بن إبراهيم بن علي مستملي أبي نعيم عن الحسن بن محمد عن عبد الله بن خنزابة حدث بمصر عن عبد الوهاب بن خلف بن عمر ومثله.

واللهجات، أمر رضي الله تعالى عنه بكتابة المصحف الشريف ؛أخذا بمشورة حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين، وشكل لذلك لجنة رباعية، من كبار الصحابة، وكتبة الوحي، وأمرهم أن يكتبوه بالوجه الذي جاءهم مكتوبا وقت النبوة، وهو ذات الوجه الذي جاءهم محفوظا عن أبي بكر رضي الله تعالى عن الجميع.

ولما شكل عثمان رضي الله تعالى عنه اللجنة الرباعية لكتابة القرآن الكريم ثم استأذن أم المؤمنين حفصة أن تعطيهم النسخة التي تم جمعها عهد أبي بكر- رضي الله تعالى عنه - وشكل عثمان - رضي الله تعالى عنه - اللجنة الرباعية؛ لكتابة القرآن الكريم، والمكونة من زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام- رضي الله تعالى عنهم - ثم قال: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم.

فعن أنس بن مالك، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشأم في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي

إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم. ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق [١٦].

وكتب ستة مصاحف ووزعها على الأمصار مثل مكة والمدينة والبحرين والبصرة والكوفة والشام.

وهذا يؤكد حرصهم جميعاً رضي الله عنهم على تولي كتابة كتاب الله تعالى، بعناية، تليق بكونه كتابا ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[سورة فصلت: ٤٢].

ولذلك سمي مصحفاً عثمانياً نسبة الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

(١٦) صحيح البخاري: ٤٩٨٧

بيد أن هناك من يفرق بين المصاحف التي وزعت على الأمصار والمصحف الذي استبقاه عثمان رضي الله تعالى عنه لنفسه.

والواقع ألا ثمة تفرقة، اللهم إلا نسبة مصحفه الشخصي لاسمه. إلا أن كل المصاحف التي نسخت في عهده رسمت جميعها بالرسم العثماني محل الدراسة.

إن القول بتوقيف الرسم العثماني هو المناسب لتنزيل قول الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال البغوي في شرح السنة المصحف الذي استقر عليه الامر هو آخر العرضات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر عثمان بنسخه في المصاحف وجمع الناس عليه وأذهب ما سوى ذلك قطعا لمادة الخلاف فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ووقع فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم [١٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: (ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه بل القراءة سنة متبعة). وقال أيضاً: (وسبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع وتسويغه

(١٧) فتح الباري، ابن حجر، ج ٩ / ٢٧

لهم ذلك إذ مرجع ذلك إلى السنة والإتباع لا إلى الرأي والابتداع)[١٨].

سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف: أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك؟ فقال: لا. قال أبو عمرو: يعنى الواو والألف المزيدتين في الرسم لمعنى، المعدومتين في اللفظ، نحو الواو في: (أولوا الألباب)، (وأولات) و: (الربا)، ونحوه.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك.

وقد قال البيهقي في شعب الإيمان: من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير مما كتبوه شيئا؛ فإنهم أكثر علما، وأصدق قلبا ولسانا، وأعظم أمانة منا؛ فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم. وروى بسنده عن زيد قال: القراء سنة. قال سليمان بن داود الهاشمي: يعنى ألا تخالف الناس برأيك في الاتباع [١٩].

وترى القراء لم يلتفوا إلى مذهب العربية في القراءة إذا خالف ذلك خط المصحف، واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها.

---

(١٨) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية: ١٣/ ٣٨٩

(١٩) البرهان، الزركشي: ج ١ / ٣٧٩

قال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – تحرم مخالفة خط عثمان في واو أو ياء أو غير ذلك [٢٠].

وجاء في فقه الحنفية في المحيط أنه لا ينبغي ألا يكتب بغير الرسم العثماني وجاء في فقه الشافعية في حواشي المنهج أن رسم المصحف سنة متبعة [٢١].

وقال العلامة نظام الدين النيسابوري ما نصه: وقال جماعة من الأئمة إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فإنه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله ﷺ وكاتب وحيه [٢٢].

(٢٠) المرجع السابق، ص: ٣٧٩
(٢١) مناهل العرفان، الزرقاني: ١/ ٣٧٩
(٢٢) المرجع السابق: ١/٣٨٠

ومن قرارات هيئة كبار العلماء، بالمملكة العربية السعودية:

قرار رقم (٧١) وتاريخ ٢١/ ١٠ / ١٣٩٩ هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد..

في الدورة الرابعة عشرة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة في الطائف في المدة من العاشر من شهر شوال إلى الحادي والعشرين منه نظر المجلس فيما رفعه حسين حمزة صالح مدرس العلوم الدينية بمدرسة الإمام أبي حنيفة الابتدائية بمكة.. إلى جلالة الملك المعظم يطلب فيه المعونة في كتابة المصحف بطريقة الإملاء العادية والمحال إلى سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برقم ٣ / ص / ٢٢٠٣٥ في ٢٢/ ٩ / ١٣٩٨ هـ واطلع البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في حكم كتابة القرآن بطريقة الإملاء العادية وإن خالف ذلك الرسم العثماني.

وبعد دراسة الموضوع ومناقشته وتداول الرأي فيه.. تبين للمجلس أن هناك أسبابا تقتضي بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني وهي:

١. ثبت أن كتابة المصحف بالرسم العثماني كانت في عهد عثمان رضي الله عنه وأنه أمر كتبة المصحف أن يكتبوه

على رسم معين، ووافقه الصحابة وتابعهم التابعون ومن بعدهم إلى عصرنا هذا، وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ».

فعن عبدالرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر: أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيه ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه فسلمنا، وقلنا : أتيناك ؛ زائرين، وعائدين، ومقتبسين . فقال العرباض : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب . فقال قائل : يا رسول الله ! كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة [٢٣].

(٢٣) صحيح أبي داود، الألباني: ٤٦٠٧

فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين؛ اقتداء بعثمان، وعلي، وسائر الصحابة، وعملا بإجماعهم.

٢. أن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حالياً بقصد تسهيل القراءة يفضي إلى تغيير آخر إذا تغير الاصطلاح في الكتابة؛ لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر.. وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها فيقع الاختلاف بين المصاحف على مر السنين ويجد أعداء الإسلام مجالا للطعن في القرآن الكريم. وقد جاء الإسلام بسد ذرائع الشر ومنع أسباب الفتن.

٣. ما يخشى من أنه إذا لم يلزم الرسم العثماني في كتابة القرآن أن يصير كتاب الله ألعوبة بأيدي الناس كلما عنت لإنسان فكرة في كتابته اقترح تطبيقها فيقترح بعضهم كتابته باللاتينية أو غيرها، وفي هذا ما فيه من الخطر، ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح.

وبناء على هذه الأسباب اتخذ المجلس القرار التالي:

يرى مجلس هيئة كبار العلماء أن يبقى رسم المصحف على ما كان بالرسم العثماني. ولا ينبغي تغييره ليوافق قواعد الإملاء الحديثة محافظة على كتاب الله من التحريف.. واتباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين.. والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد.

وجدير بالبيان أن القول بالتوقيف على الرسم العثماني ليس عن عثمان - رضي الله تعالى عنه - إنشاء بل نقلا.

ولذا؛ قال الزركشي: "رسم المصحف هو خط يتبع به الاقتداء السلفي "[٢٤].

(٢٤) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: ١٢

المذهب الثاني: القائلون بالجواز

أساس الجواز: وأسس القائلون بذلك على أنه اصطلاحي، وليس توقيفياً، وعليه تجوز مخالفة الرسم العثماني.

القائلون بذلك: القاضي أبو بكر الباقلاني، وابن خلدون، والعز بن عبد السلام. ونفر من المحدثين.

أولاً: قال القاضي أبو بكر الباقلاني: (وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه؛ إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف. وليس في نصوص الكتاب، ولا مفهومه، أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص، وحد محدود لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلت عليه القياسات الشرعية؛ بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر برسمه، ولم يبين لهم وجها معينا، ولا نهى أحدا عن كتابته؛ ولذلك اختلفت خطوط المصاحف. فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج

اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص؛ لعلمه بأن ذلك اصطلاح، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال، ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول، وأن يجعل اللام على صورة الكاف، وأن تعوج الألف، وأن يكتب على غير هذه الوجوه، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة، وجاز أن يكتب بين ذلك.

وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة وأن الناس قد أجازوا ذلك وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته، وما هو أسهل وأشهر وأولى، من غير تأثيم ولا تناكر، علم أنه لم يؤخذ في ذلك على الناس حد محدود مخصوص، كما أخذ عليهم في القراءة والأذان، والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكاتب به، على أي صورة كانت.

وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه، وأنى له ذلك)[٢٥].

(٢٥) (الانتصار للقرآن. أبو بكر الباقلاني، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار ابن حزم بيروت بالاشتراك مع دار الفتح عمان، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ٢\٥٤٧-٥٤٨-٥٤٩)

ثانياً: قال ابن خلدون: وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصاحف حيث كتبه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخير الخلق من بعده ،المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه...).

وقال أيضا: (ولاتلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في: (لأاذبحنه) إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في (بأييد) إنه تنبيه على كمال القدر الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط، وحسبوا الخط كمال فنزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح...)[٢٦].

(٢٦) مقدمة ابن خلدون ص: ٥٠٤

ثالثاً: رأي العز بن عبد السلام: أورد الزركشي في البرهان ونسبه إلي العز بن عبد السلام حيث يقول (قلت: وكان هذا في الصدر الأول، والعلم حي غض، وأما الآن فقد يخشى الإلباس؛ ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال. ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه؛ لئلا يؤدى إلى دروس العلم، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين؛ ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة[٢٧] .

رابعا: قول نفر من المحدثين: كأمثال الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (فقه اللغة)، وعبد العزيز فهمي في كتابه (الحروف اللاتينية للكتابة العربية) حيث يصف كتابة المصحف بأنها (بدائية سقيمة قاصرة)، ومحمد عبداللطيف بن الخطيب في كتابه (الفرقان) حيث يقول: لما كان أهل العصر الأول قاصرين في فن الكتابة، عاجزين في الإملاء لأميتهم وبداوتهم وبعدهم عن العلوم والفنون، كانت كتابتهم للمصحف الشريف سقيمة الوضع غير محكمة الصنع جاءت الكتبة

(٢٧) كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، ص: ٣٨٥

الأولى مزيجا من أخطاء فاحشة ومناقشات متباينة في الهجاء والرسم[٢٨]!

وكذلك عبد الوهاب حمودة في كتابه (القراءات واللهجات) فقد رد سبب اختلاف المصاحف في الرسم إلى جمل عوامل منها: ضعف الكاتبين في صناعة الخط، بمعنى أن بعض الظواهر خطأ كتابي محض!

فقد رد سبب اختلاف المصاحف في الرسم إلى جملة عوامل منها: ضعف الكاتبين في صناعة الخط، بمعنى أن بعض الظواهر خطأ كتابي محض!

ولعل جرأة في القول لمستها! وليتهم عدلوا إلى أعدل منها قولا، وأصوب حديثا!

وهذا الذي نحاه العلماء، واتجهه النجباء، وعلى نحو ما قاله القاضي الباقلاني، وابن خلدون، والعز بن عبد السلام.

(٢٨) الفرقان، محمد عبداللطيف بن الخطيب، ص: ١٤٦

مناقشة القائلين بالجواز

ولعل وقفة متأنية أمام استدلالات الجمهور على أن الرسم العثماني هو توقيفي يجب الالتزام به مع ما ساق من أدلة فيه كفاية الرد على القائلين بالجواز، ذلك أن القول بقولهم سوف يفتح بابا عظيما للخوض في كلام الله تعالى.

وهو ما سوف ينال من كتاب الله تعالى مقاما وهيبة وقدسية.

وسير الأمة على نهج التوقيف قرونا عديدة هو في حد ذاته دليل تاريخي معتبر، وإهماله من الخطورة بمكان.

وكذلك القول بأن العرب كانوا أمة بداوة لم تنهض اللغة عندهم قول عار عن لباس الحق أو شبهه؛ ذلك أنه والقول كذلكم قول أمام أمة عريقة في لغتها العربية الأصيلة. إذ ماذا يبقي لها من تاريخ إن هي رسبت في أول درجة من درجات حضارة الأمم وهو لغتها؟!

إن حضارة أية أمة وإنما تقاس بمدى التزامها بلباسها ولغتها.

وإذا أمكن مجاراتهم بأن نفراً - ولو يسيراً- يمكن جهالته باللغة فإنه لا يمكن - بحال- مجاراتهم إلا على سبيل الأفراد وحسب! أما عموم القوم فالتاريخ شاهد على تضلعهم فيها نحواً وصرفاً وبلاغة وشعراً ونثراً.

إنك لتعجب أيما عجب عندما تلحظ مخاطبة بينهم شعرا إلا جاء الرد وبنفس القافية شعرا كان. أو بذات السجع نثرا وجد!

ومن جانب آخر هام بالغ الأهمية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما اختار كتبة الوحي من أمثال عثمان بن عفان! وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ولم يكن يمكن –بحال – إلا يكون قد تم ترشيحهم وإسناد هذا العمل الهام في حياة الأمة بأكمله إلى أن يبعث الله الأولين والآخرين إلا على أسس العلم والكفاءة والمهارة والإتقان تمشياً مع عظم ما يسند إليهم من أمر!

واللافت للنظر بأن المصحف العثماني توقيفي يؤازره أن الصحابي الذي أمر بجمع القرآن الكريم ونسخه في مصحف سمي باسمه هو نفسه كان من طليعة كتبة الوحي العرب الأفذاذ الضالعين في لغتهم.

والقول - كما سبق- بحفظ الله تعالى لكتابه هو الذي يتأكد موازاة لماجرت عليه الأمة وتلقته بالقبول إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وفيما يخص قول سلطان العلماء العز بن عبد السلام سالف البيان فقد ذكر بعض أهل العلم عدم نسبة ذلك إليه في كتبه ومصنفاته من أمثال الدكتور غانم قدوري الحمد والشيخ أيمن سويد.

ذكر العلامة ابن المبارك، نقلا عن الشيخ عبد العزيز الدباغ، إذ يقول في كتابه: الذهب الإبريز ما نصه: رسم القرآن سر من أسرار الله المشاهدة، وكمال الرفعة، قال ابن المبارك فقلت له: هل رسم الواو في سأوريكم، وأولئك، وأولاء، وأولات، وكالياء في نحو (هديهم)، (ملإيه) و(ملإيهم)، و(بأييكم) هذا كله صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم أو من الصحابة فقال: هو صادر من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة. فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم.

فقلت له: إن جماعة من العلماء ترخصوا في أمر الرسم، وقالوا: إنما هو اصطلاح من الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية، وإنما صدر ذلك من الصحابة؛ لأن قريشا تعلموا الكتابة من أهل الحيرة، وأهل الحيرة ينطقون بالواو في الربا فكتبوا على وفق منطقهم، ينطقون فيه بالألف وكتابتهم له بالواو على منطق غيرهم، وتقليد لهم حتى قال القاضي أبو بكر الباقلاني: كل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه؛ فإنه ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع ما يدل على ذلك.

فقال: ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة

بزيادة الألف ونقصانها؛ لأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضا معجز. وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في (مائة) دون (فئة) وإلى سر زيادة الباء في (بأييد) و(بأبيكم) أم كيف تتوصل إلى زيادة الألف في (سعوا) بالحج ونقصانها في (سعو) و (بسبإ) وإلى سر زيادتها في (عتوا) حيث كان، ونقصانها من (عتو) في الفرقان، وإلى سر زيادتها في (آمنوا) وإسقاطها من باءو وفاءو بالبقرة وجاءو في سورتي يوسف والنمل، وتبوءو في سورة الحشر، وإلى سر زيادتها في {أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي} ونقصانها من أن يعفوا عنهم في النساء؛ أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض، كحذف الألف من (قرءنا) بيوسف والزخرف وإثباتها في سائر المواضع؛ وإثبات الألف بعد واو (سماوات) في فصلت وحذفها من غيرها؛ وإثبات الألف في الميعاد مطلقا وحذفها من الموضع الذي في الأنفال؛ وإثبات الألف في (سراجا) حيثما وقع وحذفه من موضع الفرقان؛ وكيف نتوصل إلى فتح بعض التاءات وربطها في بعض فكل ذلك لأسرار إلهية، وأغراض نبوية، وإنما خفيت عن الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني، فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور، فإن لها أسرارا عظيمة، ومعاني كثيرة، وأكثر الناس لا

يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئا من المعاني التي أشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفا حرفا.

وأما قول من قال: إن الصحابة اصطلحوا على أمر الرسم المذكور فلا يخفى ما في كلامه من البطلان؛ لأن القرآن كتب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وبين يديه، وحينئذ فلا يخلوا ما اصطلح عليه الصحابة، إما أن يكون هو عين الهيئة أو غيرها، فإن كان عينها بطل الاصطلاح؛ لأن أسبقية النبي صلى الله عليه وسلم تنافي في ذلك وتوجب الاتباع، وإن كان غير ذلك فكيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم كتب على هيئة كهيئة الرسم القياسي مثلا، والصحابة خالفوا وكتبوا على هيئة أخرى فلا يصح ذلك لوجهين:

أحدهما: نسبة الصحابة إلى المخالفة، وذلك محال.

ثانيهما: أن سائر الأمة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن ولا نقصان حرف منه، وما بين الدفتين كلام الله عز وجل؛ فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت ألف الرحمن والعالمين مثلا، ولم يزد الألف في {مِائَةَ} ولا في {ولا أوضعوا} ولا الياء {بأييد} ونحو ذلك، والصحابة عاكسوه في ذلك وخالفوه لزم أنهم - وحاشاهم من ذلك- تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقصان، ووقعوا فيما أجمعوا هم وغيرهم على ما لا يحل لأحد فعله، ولزم تطرق الشك إلى

جميع ما بين الدفتين، لأنا مهما جوزنا أن تكون فيه حروف ناقصة، أو زائدة، على ما في علم النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى ما عنده، وأنها ليست بوحي، ولا من عند الله، ولا نعلمها بعينها، شككنا في الجميع، ولئن جوزنا للصحابي أن يزيد في كتابته حرفا ليس بوحي لزمنا أن نجوز لصحابي آخر نقصان حرف من الوحي إذ لا فرق بينهما، وحينئذ تنحل عروة الإسلام بالكلية، ثم قال ابن المبارك بعد كلام: فقلت له: فإن كان الرسم توقيفيا بوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كألفاظ القرآن، فلم لم ينقل تواترا حتى ترتفع عنه الريبة، وتطمئن به القلوب كألفاظ القرآن فإنه ما من حرف إلا وقد نقل متواترا لم يقع فيه اختلاف ولا اضطراب، وأما الرسم فإنه إنما نقل بالآحاد كما يعلم من الكتب الموضوعة فيه، وما نقل بالآحاد وقع الاضطراب بين النقلة في كثير منه، قلت: وكيف تضيع الأمة شيئا من الوحي فقال: ما ضيعت الأمة شيئا من الوحي والقرآن بحمد الله محفوظ ألفاظا ورسما؛ فأهل العرفان والشهود والعيان حفظوا ألفاظه ورسمه، ولم يضيعوا منها شعرة واحدة، وأدركوا ذلك بالشهود والعيان الذي هو فوق التواتر، وغيرهم حفظوا ألفاظه الواصلة إليهم بالتواتر، واختلافهم في بعض الحروف في الرسم لا يقدح ولا يصير الأمة مضيعة له كما لا يضر جهل العامة بالقرآن وعدم حفظهم لألفاظه.

وتُكاد أن تُشتمَ رائحة التفسير الباطني في بعض العبا رات السابقة حتى جعلوه فوق التواتر! وما فيه من مخالفة لا يملك مسلم غير ردها، إذ يلغى النص والدليل. والقول بذلك يفتح بابا للهوى يجعل من كتاب اله تعالى مادة للعبث وهو ما نزهه الله تعالى عنه. وقيض علماء ربانيين حفظة أمناء ليدفعوا عنه ويدافعون عنه ذودا.

كما روى الخطيب البغدادي قال: أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن رامين الأسترآباذي، قال: حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني الحافظ، قال: حدثنا أبو قصي إسماعيل بن محمد بن إسحاق العذري بدمشق، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، قال: حدثنا مسلمة يعني ابن علي، حدثني عبد الرحمن بن يزيد السلمي، عن علي بن مسلم البكري، عن أبي صالح الأشعري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلي)[٢٩].

وقال أيضا: حدثت عن عبد العزيز بن جعفر الفقيه، قال: حدثنا أبو بكر الخلال، قال: قرأت على زهير بن صالح بن أحمد، قال: حدثنا مهي وهو ابن يحيى قال: سألت أحمد يعني ابن حنبل عن حديث معان بن

(٢٩) شرف أصحاب الحديث: الخطيب البغدادي، رقم: ٤٦

رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين فقلت لأحمد: كأنه كلام موضوع قال: لا، هو صحيح . فقلت: ممن سمعته أنت؟ قال: من غير واحد . قلت : من هم؟ قال: حدثني به مسكين، إلا أنه يقول: معان، عن القاسم بن عبد الرحمن. قال أحمد: معان بن رفاعة، لا بأس به[٣٠].

(٣٠) شرف أصحاب الحديث: الخطيب البغدادي، رقم: ٥٠

المذهب الثالث: التوسط بين المذهبين

ومقتضى هذا المذهب أنه يجوز كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة؛ ليكون أبعد عن اللبس والخلط في القرآن، ولكن يجب في الوقت ذاته المحافظة على الرسم العثماني كأثر من الآثار الإسلامية النفيسة الموروثة عن السلف الصالح[٣١] .

قال صاحب التبيان: وأما كتابته- أي المصحف- على ما أحدث الناس من الهجاء، فقد جرى عليها أهل المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس، وتحاماها أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك، وقد سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى قال في البرهان: قلت: وهذا كان في الصدر الأول والعلم حي غض، وأما الآن فقد يخشى الالتباس ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على المرسوم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤدي إلى درس العلم، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة[٣٢] .

---

(٣١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (دار الفكر): ١ / ٢٦٦
(٣٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (دار الفكر): ١ / ٢٦٦

رأي الشيخ محمد بن إبراهيم

وجهة نظر عضو هيئة كبار العلماء محمد بن إبراهيم بن جبير حول موضوع كتابة المصحف حسب قواعد الإملاء الحديثة - الذي بحثه مجلس الهيئة في دورته الرابعة عشر المنعقد في مدينة الطائف شهر شوال عام ١٣٩٩ هـ حيث قال رحمه الله تعالى:

"بعد اطلاعي على البحث القيم الذي استوفى جميع أطراف الموضوع والمعد من قبل اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أثابها الله وبارك في جهودها".

وبعد المناقشة التي تمت في مجلس الهيئة برئاسة سماحة الشيخ/ عبد الله بن حميد حول موضوع:

كتابة المصحف بغير الرسم العثماني، وحيث إن الحديث عن هذا الموضوع قديم.. بحثه الأئمة رحمهم الله قبل أكثر من ألف سنة وحكموا بما ظهر لهم من التحريم أو الكراهية أو الجواز وصنفوا في ذلك المصنفات العديدة، ولا زال بحث هذا الموضوع يتكرر بين آونة وأخرى إلى يومنا هذا.

وحيث إن قراءة القرآن من المصحف المكتوب بالرسم العثماني على وجه الصواب ستكون خاصة بمن يتلقاه عن القراء، أما الصغار فسوف يكون تعليمهم من تلك المصاحف عسيراً.

لذلك فإنني أرى أن تطبع المصاحف بالرسم العثماني حفظا لهذا الأثر العظيم الذي هو أصل - ديننا على أن يعاد طبع الكلمات بالرسم الإملائي المعتاد على الهامش في حيز خاص وذلك تسهيلا لتعلم الصغار وقراءة الكبار الذين لم يتلقوا القرآن عن قارئ.

وبهذا نجمع بين حفظ أهم شيء في تاريخ ديننا وبين تسهيل التعليم وعدم اشتباه القارئين، والله الموفق، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ".

وهذا الرأي – في نظرهم - وسط بين المذهبين السالفين، ويقوم على رعاية الاحتياط للقرآن وتنزيه ساحته عن التغيير والتبديل بالإبقاء على الرسم العثماني الذي هو الأصل، وعلى رعاية التسهيل والتخفيف على العامة والناشئة، بكتابته على حسب ما يتيسر لهم ويتسهل عليهم.

المبحث الرابع

القول الراجح في المسألة

والقول الراجح في الرسم العثماني هو قول الجمهور، بوجوب الأخذ به، واعتباره توقيفا، وعدم جواز الخروج عليه.

وهو الملائم احتياطا للقرآن الكريم، والمحافظة عليه، لفظا، وكتابة، وعدم جعله مادة للكلام من عصر إلى آخر، مما يمثل خروجا عما عهدته القرون الإسلامية من حفظ لكتاب الله تعالى، في جانبي اللفظ والكتابة.

والقول بغير ذلكم سوف يمهد الأرض لما يمكن أن ينال من قدسيته ومهابته؛ ومن ثم سوف تلوك ألسنة قوم آخرين، في كتاب الله تعالى، ولسوف يترتب على ذلكم الخوض في علوم القرآن، ولربما حجيته! خاصة ونحن في القرن الواحد والعشرين، وما يتسم به من القول بحرية الرأي والتعبير، مما حاصله أن يفتح باب اللغط في كتاب الله تعالى على مصراعيه، وإذا سمح بذلك فقد فتحنا الباب نحن بأيدينا، أن تُنال الأمة في كل شيء، إذ لم يتبق

لها شيء من بعد يمكنها أن تدافع عنه، إن هي قد أصيبت في كتاب ربها والله غالب على أمره.

ومن جانب آخر رأي نفر من العلماء جواز كتابة القرآن بطرق الإملاء الحديثة في مجال الدرس والتعليم، أو عند الاستشهاد بآية أو أكثر في بعض المؤلفات الحديثة، أو في كتب وزارة التربية والتعليم، أو أثناء عرضه على شاشة التلفاز.

وقد مر بنا رأي الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير في هذا الشأن.

وأعرض هنا - تتميما للفائدة – سؤالا عرض على لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وأذايله بجوابها عنه.

السؤال: نجد في القرآن الكريم كلمات مكتوبة على خلاف الرسم الإملائي ويصعب علينا قراءتها بالرسم الحالي، فهل تجوز كتابته بالرسم الإملائي لتيسير قراءتها وفهمها؟ وهل تجوز كتابة القرآن بغير الحروف العربية؟

الجواب:

عقد الإمام السيوطي فصلا في الجزء الثاني "ص ١٦٦ " من كتابه "الإتقان " خاصا برسم الخط وآداب كتابته، وذكر بعض من أفردوا ذلك بالتصنيف، منهم أبو عمرو الداني وأبو عباس المراكشي واستطرد فذكر أول من وضع الكتاب العربي ثم قال:

وقال ابن فارس: الذي نقوله إن الخط توقيفي لقوله تعالى * (علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) * * (ن والقلم وما يسطرون) * وإن هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله آدم وقد ورد في أمر أبي جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ليس هذا محلها وقد بسطتها في تأليف مفرد فصل القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء والوقوف عليه وقد مهد النحاة له أصولا وقواعد وقد خالفها في بعض الحروف خط المصحف الإمام وقال أشهب سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال لا إلا على الكتبة الأولى رواه الداني في المقنع ثم قال ولا مخالف له من علماء الأمة وقال في موضع آخر سئل مالك عن الحروف في القرآن الواو والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك قال لا قال أبو عمرو يعني الواو والألف والمزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو (الواو في) (أولوا) وقال الإمام أحمد يحرم مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك وقال البيهقي في شعب الإيمان من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم

أمانة منا فلا ينبغي أن يظن بأنفسنا استدراكا عليهم قلت وسنحصر أمر الرسم في الحذف والزيادة والهمز والبدل والفصل وما فيه قراءتان فكتب إحداهما[٣٣].

ثم ذكر السيوطي أن أمر الرسم ينحصر في ست قواعد، الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل وما فيه قراءات، ومثل لذلك باستفاضة، وذكر السر في حذف الحرف الأخير من بعض الكلمات مثل "يوم يدع الداع " "سندع الزبانية " أن المراكشي قال: السر في حذفها: التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المتأثر به في الوجود. وهكذا ذكر مبررات لكل قواعد الرسم وقد سئلت لجنة الفتوى بالأزهر سنة ١٣٥٥ و(١٩٣٦ م) فأجابت بما ملخصه، أن عثمان بن عفان رضى اللّه عنه أمر بأن تنسخ عدة نسخ من المصحف الذى كان موجودا عند السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضى اللّه عنها وعن أبيها. وكان هذا المصحف عند عمر ومن قبله كان عند أبى بكر الصديق رضى اللّه عنهما. وكان المصحف مأخوذا من القطع المتعددة التي كان مكتوبا عليها في زمن النبي-صلى الله عليه وسلم - ووزع عثمان هذه النسخ على الأمصار واستبقى

(٣٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ج ٢ / ٤٤٣

واحدة منها بالمدينة. وكل مصحف من هذه المصاحف يسمى "المصحف الإمام " وقد رسمت بعض الكلمات فيها رسما يخالف قواعد الإملاء المعروفة الآن. وجرى المسلمون من عهد عثمان إلى الآن على اتباع العثماني.

ثم قالت اللجنة: إن الجمهور من العلماء على التزام. الرسم العثماني وحرمة مخالفته واستدلوا على ذلك بإجماع الصحابة على الصفة التي كتب عليها عثمان ولم يرو عن واحد منهم أنه كتب القرآن على غير هذه الصفة. وذكرت اللجنة ما نقل عن مالك وأحمد والبيهقي مما سبق ذكره هنا نقلا عن السيوطي في "الإتقان ".

ثم قالت اللجنة: إن بعض العلماء ذهبوا إلى جواز كتابته بأي رسم كان ولو خالف الرسم العثماني، فكل رسم حصلت به الدلالة فهو جائز،، ولم يتعرض للكيفية التي كتب بها، وإجماع الصحابة لا يدل على أكثر من جواز رسمه على نحو ما كتب الصحابة، أما رسمه على غير هذه الطريقة فلم تتعرض له الصحابة لا بحظر ولا بإباحة وذكرت ما قاله القاضي أبو بكر الباقلاني فى كتابه

"الانتصار" موضحا لهذا الرأي الذى لا يحتم التزام الرسم العثماني. ولكن اللجنة اختارت بقاء المصحف على الرسم الذى كان عليه في عهد عثمان رضى اللّه عنه.

وعدم كتابته على الرسم الإملائي الحديث، فإن الرسم الحديث ما يزال موضع الشكوى لعدم تيسر القراءة به، حيث توجد به أحرف لا تنطق، وتنقص منه حروف تنطق، ولا تتيسر القراءة والفهم إلا بعد التمرن الطويل والإتقان لمعرفة قواعد الإملاء. ثم من قواعد الإملاء عرضة للتعديل، فهل يكتب القرآن على القواعد الإملائية المعدلة أو القديمة؟ وقد توجد عدة نسخ مختلفة الرسم، وهنا تكون البلبلة والتعرض لتحريف القرآن وضعف الثقة فيه.

ثم قالت اللجنة: إن تلاوة القرآن لا تؤخذ أبدا من الرسم، بل من التلقي لأن هناك أحكاما لتجويد القرآن وإخراج الحروف من مخارجها الحقيقية لا يمكن للشكل الإملائي أن يدل عليها، ولذلك أرسل عثمان مع المصاحف قراء، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة، والمغيرة بن شهاب أن يقرئ بالشام، وعامر بن عبد قيس أن يقرئ بالبصرة، وأبا عبد الرحمن السلمى أن يقرئ بالكوفة

فاللائق بقدسية القرآن بقاء كتابته على الرسم العثماني. انتهى تلخيص الفتوى.

وعلى ضوء ما جاء عن السيوطي في "الإتقان" وما اختارته لجنة الفتوى عملت بحوث ونشرت مقالات وصدرت فتوى من دار الإفتاء المصرية سنة ١٩٥٦ م وقرر مجمع البحوث الإسلامية فى دور انعقاده الرابع ١٩٦٨ م الالتزام بالرسم العثماني ومنها البحث الذى قدمه الدكتور محمد أبو شهبة، مشيراً إلى بعض التآليف في ذلك.

كالمقنع لأبى عمرو الداني، عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل لأبى العباس المراكشي المتوفى سنة ٧٢١هـ والمعروف بابن البناء والأرجوزة للشيخ محمد بن أحمد المتولي، وشرحها للشيخ محمد على خلف الحسيني شيخ المقارئ المصرية فى عهده، مع تذيل الشرح بكتاب سماه "مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه فى رسم القرآن " وإيقاظ الأعلام إلى اتباع رسم المصحف الإمام للشيخ محمد حبيب اللّه بن عبد اللّه بن أحمد بن مايابي الجكني الشنقيطي ومناهل العرفان للشيخ الزرقاني، المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبى شهبة، وهذا الحكم موجود في كتب الأئمة وعلماء التفسير، وجاء في الشفا للقاضي عياض: من غير

حرفاً بزيادة أو نقص أو بدَّله بحرف غيره فهو كافر، ووافقه على ذلك شارحه الخفاجي وشارحه ملاّ على القاري. "منبر الإسلام - ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ".

خاتمة البحث

النتائج التي توصلت إليها

خلصت من خلال عرضي لهذا البحث إلى جملة من النتائج أعرضها كالتالي:

١. حيث عرفت الرسم لغة بأنه الأثر والرسم والرشم والخط والكتابة.

٢. وعرفته اصطلاحا بأنه تصوير الكلمة بحروفها ولهجاتها على تقدير الابتداء بها والوقف عليها.

٣. وبينت العلاقة بين التعريفين ولاشتراكهما في الإيجاد.

٤. وألمحت إلى الرسم القياسي وأنه ما وافق رسم الكلمة لفظها نحو (يوم الساعة، الأمر).

٥. وكذا الرسم الاصطلاحي وهو ما خالف رسم الكلمة لفظها نحو (الصلوٰة، لأذبحنه).

٦. والرسم العروضي وهو خاص بالشعر وتقطيعه.

٧. والرسم الإملائي وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها والوقف عليها.

٨. والرسم العثماني: وهو الرسم الذي كتب به المصحف الشريف على عهد عثمان رضي الله تعالى عنه.

٩. وذكرت اطلالة تاريخية حول جمع القرآن الكريم وتاريخ نزوله في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرورا بجمعه في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله تعالى عنهما.

١٠. وذكرت أهمية الرسم العثماني وفوائده حيث كان منها توحيد الأمة على كتاب واحد وبيان أوجه القراءات المختلف وسعة اللغة العربية واعجز القران الكريم رسما كما إعجازه نظما....

١١. وذكرت ظواهر اختلاف الرسم العثماني عن الرسم الإملائي في جوانب الحذف والزيادة والوصل والفصل والهمز وما فيه قراءتان.

١٢. وكان مما ذكرته إيجازاً حول أنواع الحذف (حذف إشارة وحذف اختصار وحذف اقتصار).

١٣. وبينت تفسير العلماء لمسائل الاختلاف بين الرسمين في الظواهر المشار إليها آنفا. من النواحي التاريخية واللغوية والصوتية وعلم القراءات.

١٤. وذكرت أقوال العلماء في حكم التزام الرسم العثماني. (رأي الجمهور على أنه توقيفي ولا يجوز الخروج عليه، ورأي

المجوزين من أمثال الباقلاني وابن خلدون وغيرهما. ورأي المتوسطين في ذلك كالشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى).

١٥. وذكرت مناقشة أقوال المجوزين، وبينت ضعفها، بما استدللت به من أقوال الجمهور، القوية في هذا الشأن. وخلو استدلالات المجوزين من علم صحيح، يستند اليه، أو أثر من سند يقوم عليه.

قائمة بأهم المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. صحيح البخاري.

٣. صحيح أبو داود، الألباني.

٤. سنن الترمذي.

٥. فضائل القرآن، الدارمي.

٦. لطائف البيان في رسم القرآن.

٧. مقاييس اللغة، لابن فارس.

٨. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي.

٩. مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان.

١٠. مقدمة ابن خلدون.

١١. مجلة منبر الإسلام، عدد ذي الحجة ١٤٠٢.

١٢. اتجاهات العلماء في تفسير ظواهر الرسم القرآني، د: أسامة عبد الوهاب الحياني بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.

١٣. نفحات من علوم القران، د: محمد أحمد معبد بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.

١٤. الرسم العثماني وتفسير العلماء لظواهره بين التأملات الوهمية والحقائق العلمية، د: فائز محمد الفرازي بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
١٥. الفرق بين الرسم العثماني والرسم الإملائي الذي جرى عليه العرف، خالد بن محمود بن عبد العزيز الجهني بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
١٦. قواعد الرسم العثماني، محمد أبو شهبة بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
١٧. النحو والصرف، سيبويه.
١٨. الاعتقاد للبيهقي.
١٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني.
٢٠. الانتصار، الباقلاني.
٢١. الفرقان، محمد عبداللطيف بن الخطيب.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
بطاقة الكتاب	
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	1
المقدمة	1
أهمية البحث	7
خطة البحث	8
المبحث الأول	9
التعريف بالرسم العثماني	9
المطلب الأول:تعريف الرسم لغة واصطلاحا	10
والمطلب الثاني:أقسام الرسم باعتبار موافقة رسم الكلمة لفظها	12
والمطلب الثالث:أقسام الرسم باعتبار قواعده وموضوعه	13
المطلب الرابع:إطلالة تاريخية	16
المطلب الخامس:أهمية اعتماد الرسم العثماني	20
المبحث الثاني	22
الفرق بين الرسم العثماني والرسم الإملائي	22

المطلب الأول: مسائل الاختلاف بين الرسم العثماني والرسم الاملائي	23
الفرع الأول:الحذف	23
أولا: حذف الألف:	23
أ- حذف الإشارة:	23
ب- حذف الاختصار:	23
ج- حذف الاقتصار:	24
ثانيا: الحذف في الياء:	24
ثالثا: حذف الواو:	24
رابعا: حذف اللام:	24
الفرع الثاني: الزيادة	25
الفرع الثالث: الفصل	25
الفرع الرابع :الوصل	25
الفرع الخامس:ما فيه قراءتان	26
الفرع السادس: الإبدال	26
الفرع السابع: الهمز	27

المطلب الثاني	31
تفسير العلماء لمسائل الاختلاف بين الرسم القرآني والرسم الاملائي	31
المذهب الأول: توجيه ظواهر الرسم توجيهاً لغوياً نحوياً وصرفياً:	33
المذهب الثاني: إن الاختلاف بين رسم الكلمة إنما هو نابع من التطور التاريخي للكتابة من عصر إلى آخر:	33
المذهب الثالث: وبين معلل لذلك بما تقتضيه أصوات الحروف:	34
إطلالة بحثية	36
أولا:	36
ثانيا	36
ثالثا:	37
رابعا:	37
خامسا:	44
سادسا:	44
سابعا:	44
ثامنا:	45
المبحث الثالث	46
أقوال العلماء في حكم التزام الرسم العثماني	46

المطلب الأول	47
المذهب الأول: مذهب الجمهور.	47
أدلة الجمهور: إن كتابة القرآن الكريم قد تمت في عهد الرسول ﷺ، على أيدي كبار الصحابة- رضي الله تعالى عنهم- من أمثال عبد الله بن عباس، وزيد بن ثابت، وهم يعرفون قواعد ما يكتبون، وما به نزل، وعلى أية صورة، وقد تابعها عليه الصلاة بنفسه؛ مما يعد إقرارا عمليا بصحة ما كتبوه رضي الله عنهم.	47
المذهب الثاني: القائلون بالجواز	57
أساس الجواز:	57
القائلون بذلك:	58
أولاً: قال القاضي أبو بكر الباقلاني:	58
ثانياً: قال ابن خلدون:	60
ثالثاً: رأي العز بن عبد السلام:	61
رابعا: قول نفر من المحدثين:	61
مناقشة القائلين بالجواز	63
أحدهما:	67
ثانيهما:	67
المذهب الثالث: التوسط بين المذهبين	71
رأي الشيخ محمد بن إبراهيم	72

المبحث الرابع	74
القول الراجح في المسألة	74
ثم قالت اللجنة:	78
ثم قالت اللجنة:	78
ثم قالت اللجنة:	79
خاتمة البحث	82
النتائج التي توصلت إليها	82
قائمة بأهم المصادر	85
فهرس المحتويات	87